

خلاف الشعراء الجاهليين مع زوجاتهم أسبابه ونتائجه

مصطفى شيروى خوزاني^{١*}، محمد عابدين بايگان^٢

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

٢. ماجستير في الأدب العربي من جامعة قم

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٥/٧/٢٦؛ تاريخ القبول: ٢٠١٥/١٠/٤)

الملخص

اهتم كثير من الشعراء الجاهليين بالإشارة إلى خلافاتهم مع زوجاتهم، ودافعوا عن أنفسهم بأساليب مختلفة مناسبة لشدة الخلاف أو خفته، من خلال الرد على لوم الزوجة، والافتخار بما يفعلوه، وتأكيد صحة تصرفاتهم. فنظرة الشاعر الجاهلي إلى الزوجة ورغبته بمخالفتها تعود إلى تصويره بأنها لا تميل إلى الرجل إلا في شبابه أو غناه، فهم في أسلوب ردهم على زوجاتهم، يؤكدون رغبتهم في التخلي عما يلزمهم باحترام المشاعر المحقة للزوجة، متأثرين بالجو القبلي الذي يعلي شأن الرجل حتى في إطار العلاقة الزوجية. فالبحث، من خلال تطرقه إلى دواوين شعراء هذا العصر، يعرض أسلوب العرب الجاهليين في محاولة تجنب الخلاف بعد الزواج، ثم يبين أهم أسباب الخلافات الزوجية وعواقبها عند الشعراء، ويحدد أهم المشكلات التي شاعت بين الزوجين بدراسة وصفية تحليلية. وتحاول المقالة إثبات تأثير الشعراء الجاهليين بالعادات القبلية في حدوث الخلاف مع زوجاتهم مع غياب القانون الديني الذي يضمن الحقوق والواجبات المتبادلة للزوجين، واتخاذ الرجل لقراراته بفعل تسلطه في القبيلة والاستهانة بحقوق الزوجة ومطالبها. وما تستنتج المقالة يتمثل بما يلي: إن العادات القبلية هي السبب في معاناة الزوجة من خلال السماح لكبار السن بالزواج من الصغيرات، ورغبة الشعراء في الافتخار بالانفاق المالي غير المتزن مع عدم الاهتمام برأي الزوجة ومعيشتها، وتسبب النزاعات القبلية للخلاف بين الزوجين مما يؤدي إلى الطلاق، بالإضافة إلى قساوة العيش وكثرة التنقل في البادية.

الكلمات الرئيسية

الخلاف، الزوجان، الشعر الجاهلي، العادات القبلية، المشاكل.

مقدمة

تميز خطاب الشعراء الجاهليين مع زوجاتهم، بعد الاختلاف معهن بالتنوع في الأحاسيس، من حيث الشدة أو اللين، تبعاً للطباع والظروف الاجتماعية المختلفة، وهذا يكتشف تأثر الشعراء بالعادات الفردية والقبلية، وأهم ما يستتج من ذلك هو فقدان قانون يحكم الروابط الزوجية، وكذلك وقوع الأسر في مشكلات مفروضة.

فمع غياب النهج الديني الصحيح الذي يشرع منهج الحياة السليمة، اتجه الجاهلي إلى الاعتماد على العقل والحكمة والتجربة في توجيه سلوكه، حسب ما يراه صحيحاً مفضلاً، ويبدو أنه ليس لدى العربي في الجاهلية إلا أن يسمع الحكيم المجرب، والشاعر المؤثر حتى يتعلم ويستفيد من التجارب والأحاسيس، في بيئة غلبت عليها البداوة والتنقل وقساوة العيش، فقد برع الجاهلي في التعبير اللساني « وفي كلِّ حرفة لسانية أو تعبير عن شعور ذاتي كالحب والبطولة » (جواد علي، ٢٠٠١م: ٨، ١٩٧). فقد كان الشعر، عاملاً أكثر تأثيراً في توجيه ذهن العربي، فغالباً ما يكون الاستشهاد ببيت أو أبيات، مصدر جواب واقناع أو ردع في كثير من مواقف الاختلاف أو الإحراج أو الاستفسار.

أما بالنسبة إلى بدايات البحث والدراسات التي تناولت موضوعات الشعر الجاهلي فينبغي أن نشير إلى أن خلفيات هذا الموضوع، لم تأخذ نصيباً من التحقيق يتناسب مع وفرة وتنوع ما ورد في التراث الشعري التي نلاحظ قسماً منها في كتاب «الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني». كما أن الكتب الحديثة غالباً ما، اقتصرت على بيان الموضوعات، عدا بحث الرثاء للزواج، أما ما يتعلق ببقية العلاقات الزوجية كهذا البحث، فلم تدرس كما يتطلب الأمر. نعم هناك بعض الكتب والمقالات التي تطرق بنوع ما إلى هذا الأمر، فمنها: مرآة النساء فيما حسن منهنّ وساء، لمحمد بن محمد الأدهمي، تحقيق «مُنَى الخراط» ١٩٣٤م. والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، لعبدالله العفيفي... ولكن لم تتطرق هذه الدراسات إلى موضوع بحثنا بصورة مخصصة.

فبناء على ما ذكر، يحاول هذا المقال دراسة جزء من العلاقات الزوجية وهو الخلافات التي شاعت بين الزوجين بدراسة وصفية تحليلية من خلال دواوين شعراء هذا العصر، لمحاولة بيان عواقبها النفسية والاجتماعية، ولعرفة أساليب معينة كانت معهودة ومتبعة في التعامل مع ما تتعرض له الأسرة من مشكلات. ثم يبين أهم أسباب الخلافات الزوجية

وعواقبها عند الشعراء، ويحدد أهم المشكلات. وبما أن هذا الأمر ليس مقصوراً على الشاعر الجاهلي وأنه قد يكون جزءاً من الظواهر الاجتماعية الشاملة لكل البشر، وإن احتفظت أحياناً ببعض الخصوصيات، فالبحث يسعى للإجابة عن الأسئلة التالية:

- ماهو ردود فعل الزوجين ومشاعرهما بعد وقوع الخلاف، في مرآة الشعر الجاهلي؟

- كيف كان شعراء الجاهلية يعالجون خلافاتهم الزوجية؟

- هل كان الزوجان يتبعان مبدأ معيناً يحفظ استمرار العلاقة بينهما في ظل تسلط الرجل؟

- كيف كان تصرف الشاعر حين كانت زوجته تشعر بضياح حقها؟

فيهدف البحث إلى دراسة مشاعر الزوجين تجاه بعضهما بعد وقوع المشاكل، كما ورد في الشعر الجاهلي، وهذا يمثل تسجيلاً للتجارب والأحاسيس التي يمكن الانتفاع بها، بعد كشف مفاهيمها وغاياتها الفكرية والعاطفية، ومعرفة كيفية التعامل مع الحالات المختلفة المؤثرة في بيئة المتزوجين، فهي تمثل غالباً النظرة العميقة للمشكلات الحياتية، واللفتة الدقيقة لما تثيره من ردود فعل عاطفية، فالشاعر بحساسيته المرهفة، في أحوال عديدة، أقدر على إبراز هذه القضايا المهمة في حياة المتزوجين. فيمكن الانتفاع ببعض نتائج البحث لمعالجة الخلافات الزوجية في مجتمعنا هذا والعائلات، لأن كثيراً من البيوت تعاني من هذه الخلافات التي تهدم الأسرة التي تُعتبر من أهم مكونات المجتمع.

فالبحث يقتضي معالجة طبيعة الخلافات الزوجية وأسبابها ونتائجها والإشارة إلى غلبة الخلافات حول تفاوت السن بين الشاعر وزوجته، وكيف أنه كان يرفض ادعاءها بالضعف أو يضطر للاعتراف به، والإشارة إلى أغراض إنفاق المال وإتلافه؛ فالشاعر الجاهلي يبرز إنفاقه للمال من منطلق إظهار زوجته لمخالفتها لذلك، فهو يبقى يدافع عن عادات قبيلته بهدف الافتخار بها حتى لو عانت منها زوجته، فكان يعيش بين العاطفة المراعية لها أحياناً وبين التسلط الراض لتدخلها. والإشارة إلى الشك والريبة والنزعات القبلية والعصبية والبعد عن الأهل وبيئة البداية.

فبناءً على ما ذكر فهذا المقال يحاول أن يناقش الموضوع ظل العناوين التالية:

طبيعة الخلافات الزوجية

الخلافات بين الزوجين على رأي «كمال ابراهيم» هي «تباين في أفكار ومشاعر واتجاهات الزوجين حول أمر من الأمور، ينتج عنه ردود أفعال غير مرغوب فيها، تظهر الخلاف وتوضحه،

ثم تحوَّله إلى نفور وشقاق، وزيادة في ردود الأفعال غير المرغوب فيها، فيختل التفاعل الزوجي، ويسوء التوافق الزوجي، وتضعف العلاقة الزوجية» (مرسي، ١٩٩٥م: ٢٣٦). وقد لا يخلو أي زواج من الخلافات، خاصة في السنوات الأولى منه. «وتنقسم الخلافات إلى بناءة وهدامة، فالأولى لاتؤدِّي إلى الخصام والنفور، وتساعد على اكتساب الخبرات، التي تتمي العلاقة الزوجية والتفاعل الإيجابي.

أما الخلافات الهدامة فتؤدي إلى النفور والعداوة، وتضعف العلاقة الزوجية وتجعلها سلبية. والخلافات الزوجية على مستويات مختلفة، من خلاف لا يؤدي إلى خصام ونفور، بل قد تكسب الزوجين خبرة في التعامل الأفضل، والمستوى الآخر قد يصل فيه الخلاف إلى المستوى الهدام، فتظهر فيه العداوة والبغضاء، وتشتد التنافرات وتنتشر. وتصنف الخلافات الهدامة إلى نشوز وشقاق. فالنشوز خلافات من أحد الزوجين دون الآخر، أما الشقاق فهو خلافات هدامة من قبل الزوجين، تسيطر فيها مشاعر الحقد، والرغبة في الانفصال» (مرسي، ١٩٩٥م: ٢٣٧).

فتلاحظ أن بيئة الخلافات الزوجية، تركز على الجهل أو على التزام بأساليب فاشلة في التعامل. وربما ولدت طبيعة الحياة الجاهلية بعضاً من هذه المؤثرات، فالشاعر «أجدع الهمداني» وهو جاهلي أدرك الإسلام يجعل مبدأه أن لا يسمع رأي الزوجة، بل يتخذ الضد مما طلبته، فيقول:

تُعِيرُنِي بِالْفَرْوِ عَرْسِي وَمَا دَرَّتْ بَأَنِّي لَهَا فِي كُلِّ مَا أَمَرْتَ ضِدُّ

(الراغب الأصفهاني، ٢٠٠٤م: ج٢، ٢٢٧)

فيجعل نظرتة هذه أساساً لتجنب المرأة، وأخذ الحذر منها، مما يساهم في أن تنظر المرأة أيضاً إلى الرجل بمثل هذه السلبية، فيساعد في عدم التفاهم، أو اضطراب العلاقة بين الطرفين، فيقول «علقمة الفحل»:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَبِإِنِّي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدْهِنٍ نَصِيبٌ
يُرِدْنَ تَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمَتْهُ وَشَرَحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ

(الجاحظ، ١٤٠٩ق: ج٣، ١٨٦)

فتلاحظ أن هناك تصوراً معيناً حول المرأة، تكوّن من رد فعل المرأة على معاناة الحياة البدوية في جزيرة العرب، فأثرت على سلوك الزوجين. فلا تتولد الخلافات إلا لسبب معين، ثم تتفاقم آثارها السلبية.

فنحن هنا نحاول أن نستكشف الأسباب الأساسية لهذه الخلافات من لسان الشعراء:

أسباب الخلافات الزوجية

تتنوع الخلافات حسب تنوع الطباع بين الزوجين، وعلى ضوء الظروف الاجتماعية والمادية التي تعيشها الأسرة. وطبقاً لطبيعة البيئة العربية في الجزيرة، وما فيها من قسوة العيش، وكثرة المصاعب التي كانت تشغل بال المرأة، والتخوف المصاحب لها، من مستقبل لا يجلب الاطمئنان والهدوء، فإنَّ الزوجة تبقى حريصة على محاولة ضمان أقل ما يمكن من الأمان، وبقاء الحياة لأفراد الأسرة، بما فيهم معيها الذي يهياً مصدر عيشها ويحميها، فأكثر ما يشغل بال الزوجة، خوفها من المستقبل.

فأهم الخلافات التي كانت تحدث بين الزوجين، كما عبر عنها الشعراء تتمثل بما يلي:

التفاوت في عمر الزوجين

هناك قصائد عديدة، شرع فيها الشعراء بظاهرة لوم الزوجة للشاعر على كبره، وهو ما يثير هموماً من عدم قدرته على التجاوب مع متطلبات الحياة التي تحتاج إلى الحيوية والنشاط، حتى تتوفر لوازم الراحة ومتطلبات الاطمئنان التي تحتاجها الزوجة لنفسها ولأولادها. فالشاعر لا يرغب أن يسمع لوم زوجته، لأنه يعدّه انتقاصاً من شخصيته، فيبادر للرد عليه، ويذكر ما يمنح نفسه القوة والأمل في مواصلة العيش، دون قلق أو تخوف، فيخطئ رأي الزوجة كما فعل الشاعر «امرؤ القيس» حين قال:

أَلَا زَعَمْتَ بِسِيَّاسَةِ الْيَوْمِ أَنْنِي كَبِرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْثَالِي^١
كَذَّبْتَ لَقَدْ أَصْبَى عَلَى الْمَرْءِ عَرْسَهُ وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزْنَ بِهَا الْخَالِي^٢
(امرؤ القيس، ١٩٩٤م: ٨٨)

فالشاعر بقوله «زعمت»، يفند ادعاء الزوجة، وأنه لا زال بقوة، ودليله في ذلك أنه يصبو على الفتيات الأخريات، ويمنع الاعتداء على زوجته من قبل الرجل الفاقد للزوجة، فكثيراً ما يتلهى بالجماليات الوضیئات، مما يدحض احتمال عجزه وعدم قدرته:

وَيَا رَبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٍ بِأَنْسَةِ كَأَنَّهَا خَطٌّ تِمْتَالٍ
وَمِثْلِكَ بِيضَاءِ الْعَوَارِضِ طِفْلَةٍ لَعُوبٍ تَسْسِينِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي
(امرؤ القيس، ١٩٩٤م: ٨٨)

١. بسياسة: امرأة من بني أسد.

٢. أصبى فلان عرس فلان: استمالها. يُزْنَ: يُتَمَّ وَيُظَنَّ. الخالي من الرجال: الذي لا زوجة له.

في مقابل رد ادعاء الضعف، قد يعترف الشاعر بعجزه، ويعتبر ذلك أمراً لا يبد منه، فالشاعر «ابن الخرع» لا يجد بدأً من أن يرد على سخرية زوجته، بعد أن رآته وقد نحل جسمه، وبعد أن رأت الشباب الفتيان وقارنته بهم، فهو يتساءل منها كيفانها لا تأخذ بالاعتبار أنه كبر وانتابته الأوجاع، حتى قرب أن يعود زائروه. وهو استسلام للأمر الواقع، ولكنه يضمّر في طياته، قبح ما فعلته زوجته من سخرية برجل كبير احتاج إلى من يخفف من أوجاعه لا أن يسخر به.

فالزوجات غالباً ما تتنفر من شيخوخة الأزواج، خاصة إذا كان الفرق في السن كبيراً بينهما، وهو ما كان معروفاً في عصر الجاهلية، فقد قال «عوف بن عطية»:

سَخِرَتْ فُطَيْمَةَ أَنْ رَأَتْنِي عَارِيًّا جَرَزِي إِذَا لَمْ يُخْفِهْ مَا أَرْتَدِي
بَصُرْتُ بِفَتِيَانٍ كَأَنَّ بَضِيْعَهُمْ جُرْدَانُ رَابِيَةٍ خَلَّتْ لَمْ تُصْطَدِ
إِمَّا تَرِنِي قَدْ كَبِرْتُ وَشَفَّنِي وَجَعَ يُقَرِّبُ فِي الْمَجَالِسِ عُودِي^١
(الأصمعي، ٢٠٠٥م: ١٨٩)

فالزوجة بعد أن تشعر بكبر الزوج تبغض فيه ذلك، كما فعلت الشاعرة الجاهلية «زوجة أبي العاج الكلبى» حيث قالت:

شَنَنْتُ الشُّيُوحَ وَأَبْغَضْتُهُمْ وَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَفْعَالِيهِ
تَرَى زَوْجَةَ الشُّيُخِ مَغْمُومَةً وَتَمَسِّي لِصُحْبَتِهِ قَالِيهِ
(ابن طيفور، ٢٠٠٥م: ١١٥)

وربما فقدت الزوجة صبرها، وملّت من طول فترة المراعاة التي يتطلبها وضع الزوج الذي أصابه العجز والمرض، فصخر بن عمرو السلميشكو من جزع زوجته منه، ومللها في مواصلة مداراته، ويبين حقيقة اختلاف الأم عن الزوجة في التعامل مع من عجز وأصبح معاقاً، فيثبت صبر الأم مقابل جزع الزوجة فيقول:

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
فَأَيُّ امْرَأٍ سَاوَى بِأُمَّ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشٍ إِلَّا فِي شَقْمِي وَهَوَانِي
(الأصمعي، ٢٠٠٥م: ١٦٣)

١. بَصِيْع: كناية عن موضع الفشيان. شَفَّنَ الحُزْنَ: أظهر ما عنده من الجزع وشَفَّهُ الهمُّ: هزَله وأضمره حتى رَقَّ.

نستنتج من هذه الأشعار وأمثالها أنّ مشكلة تباعد السن كانت تثير الخلاف بين الزوجين، ونلاحظ أنّ سبب هذه المشكلة لم يكن أمراً طارئاً على سياق الحياة الزوجية لكي يحتاج إلى إصلاح، بل كان يوجد ويرافق مع الزوجين لبداية الحياة الزوجية، وإن لم يكن مستحيل العلاج. وهذا الأمر شائع في عصرنا أيضاً ويعتبر من أحد أسباب الطلاق.

أما بعض الشعراء يرفضون هذا المنحى، ويعدون هذا زعماً تضاف إليه حجج أخرى لادعاء عدم التوافق أو التناسب، وهو ما يرفضه الشاعر «عبيد بن الأبرص»:

رَعَمْتُ أَنْنِي كَبِيرْتُ وَأَنْنِي قَلَّ مَالِي وَضَنَّ عَنِّي الْمَوَالِي
وَصَحَا بَاطِلِي وَأَصْبَحْتُ كَهَالاً لَا يُؤَاتِي أَمْثَالَهَا أَمْثَالِي^١
(عبيد بن الأبرص، ١٩٩٤م: ٧٨)

وكذلك فعل الشاعر «دريد بن الصمة» فهو يشير إلى أنّ القول بكبره وأنه شيخ كبير، مجرد زعم ويثبت افتخاره أنه ابن أمس، يمتلك التجارب والحكمة التي يعلي المجتمع الجاهلي من شأنها، ويجعلها من المفاخر التي يرد بها على الانتقاص واللوم، فيقول:

وَتَزَعُمُ أَنْنِي شَيْخٌ كَبِيرٌ وَهَلْ أَخْبَرْتَهَا أَنْنِي ابْنُ أَمْسِ
(دريد، دون تا، ص ١١٦)

فحين تُذكر المفاخر بعد اللوم والانتقاص، فإن لها أثراً أكبر وأوقع في النفس، وسواء شئنا أم أينا فإن شاعر الجاهلية «امرئ القيس» وقف ليؤكد لرفاقه حقيقة يعتقد بها جازماً بأن النساء تمقت الشيب والفقر. ومع وجود الاستثناء، إلا أنه قال على نحو العموم:

أَرَاهُنَّ لَا يُحِبُّبْنَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَنْ بَدَا فِي عَارِضِيهِ مَشِيبٌ
(ابن عبد البر، ١٩٨١م: ٢، ٥٠)

وقد يجعل الشاعر ذكر الزوجة لشيب الزوج، مجالاً لبيت حزنه على ما أصيب به مما ألمه وساعد في ظهور هذا الشيب الذي لا بد من قدومه. إلا أنّ الألم يقربّه ويزيده، خاصة بعد فقدان أخ عزيز، مما يعمل على إثبات الولاء لأبناء القبيلة، وفي ذلك قال «كعب بن سعد الغنوي»:

تَقُولُ سُلَيْمَى مَا لَجِسْمِكَ شَاحِباً كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابَ طَيِّبٌ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَعِيَ الْجَوَابَ وَلَمْ أَبْح وَلِلدَّهْرِ فِي الصُّمِّ الصِّلَابِ نَصِيبٌ

١. صحا باطلا: زال ميلي إلى الهوى. إسناد الفعل إلى الباطل، مجاز عقلي.

تَتَابِعُ أَحْدَاثَ يُجَرِّعُنْ إِخْوَتِي فَشَيَّبَنَ رَأْسِي وَالْخُطُوبُ تُشَيِّبُ
لَعْمَرِي لَيْتَنِ كَانَتْ أَصَابَتْ مَنِيَّةً أَخِي وَالْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شَعُوبٌ^١
(الأصمعي، ٢٠٠٥م: ١٠٨)

فالزوجة يههما أن ترى زوجها بالقدرة الكافية للقيام بواجبه تجاه زوجته، من كافة النواحي، فالعجز الذي ينتابه يدفع بها إلى الاستهانة به، وهو ما يثير استنكاره. ويضاف إلى اللوم ما تقوم به الزوجة من التَّعَبُّسِ والوجوم مما يزيد من الطين بلة. ونجد ذلك عند «عبيد بن الأبرص» حين شكت زوجته من شبيهه، فردَّ عليها بما يدينها بالتقصير معه وعدم الاكتراث به:

أَلَا عَتَبْتَ عَلَيَّ الْيَوْمَ عِرْسِي وَقَدِ هَبَّتِ بِلَيْلٍ تَشْتَكِينِي
فَقَالَتْ لِي كَبِرْتَ فَقُلْتُ حَقًّا لَقَدْ أَخْلَفْتُ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
تُرِينِي آيَةَ الْإِعْرَاضِ مِنْهَا وَقَطَّعْتُ فِي الْمَقَالَةِ بَعْدَ لَيْلٍ
وَمَطَّطْتُ حَاجِبَيْهَا أَنْ رَأْتَنِي كَبِرْتُ وَأَنْ قَدِ ابْيَضَّتْ قُرُونِي^٢
فَقُلْتُ لَهَا رُوَيْدَكَ بَعْضَ عَتْبِي فَإِنِّي لَا أَرَى أَنْ تَزْدَهِنِي
وَعَيْشِي بِالَّذِي يُغْنِيكَ حَتَّى إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَنْأِي فَبَيْنِي^٣
(عبيد بن الأبرص، ١٩٩٤م: ٩٧)

اختلاف الزوجين في أغراض الإنفاق

عندما ندقق النظر في الشعر الجاهلي نجد أن المرأة في حرصها على المال تختلف في غرضها عن غرض الرجل في الإنفاق، فكل منهما يسعى إلى تحقيق رغباته. « وإن ما يلفت نظر الباحث، أن الشعراء في حديثهم عن الكرم والبخل كثيراً ما ذكروا أن النساء هن اللواتي كن يمنعهن من الجود والعطاء، بما يوحي أن الإنسان العربي كان يرى أن المرأة أشد بخلا من الرجل وأكثر حرصاً منه على المال والطعام» (زيتوني، ٢٠٠١م: ٤٢٧). فالزوجة لخدمة مصلحتها لا تمانع في سعي الزوج لجمع المال، ولكنها تعارضه في تبيذره أو بذله بعد أن أجهد نفسه في جمعه. إلّا أن نظرة الأزواج ترتسم من خلال كثرة ما لمسوه من عتاب وجدال حول إنفاقهم. وأين ذهبت الأموال؟

١. لم أبح: لم أعلن، لم أظهر. / شعوب: مُفْرَقَةٌ.

٢. مطَّ جاجيه: مَدَّهما وتكَبَّر. / القُرُون: جوانب الرأس.

٣. عتبه: لأمه. / إزدهى فلاناً: استخفّه. / أن تنأى: تتباعد. / البين: الانفصال، الابتعاد، الفراق.

فالخلاف حول المال يتحدد في مدى تقبل إنفاقه على الغير. فقد أعطى «عروة بن الورد» للغنى أهمية في اكتساب الراحة النفسية للإنسان، فهو يسعى لأخذ المال تجنباً من الفقر، إلا أن عطاءه يحول دون وصوله إلى الغنى؛ لأنه كلما جمع المال ووجد فقيراً أنفق عليه، فيقول:

دَعَيْتَنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي	رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيَّ	وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرٌ
يُبَاعِدُهُ الْقَرِيبُ وَتَزْدَرِيهِ	حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَيُلْفِي ذُو الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ	يَكَادُ فَوْادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَائِلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ	وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ

(عروة بن الورد، دون تا: ٥٠)

فالشاعر يرى أن من أسباب إزدراء الزوجة بزوجها احتياجه للمال، بل يعتبر الغنى قوة تقبل العثرات وتغفر الزلات، وكل ذلك من سوء الفقر وويلاته. وحقاً فإن عروة الصعلوك نهض بفكر ناقد على الظلم، صريح في مواجهة عيوب المجتمع ومنها استهزاء الزوجة بالرجل الفقير.

وأهمية هذا الشاعر تجيء من أنه «سار في الصعلكة باتجاه ثورة أكثر وعياً وعمقاً وتبصراً، وأنه خلصها من الكثير من مثالبها وانتقل بها نقلة نوعية واسعة باتجاه ثورة المجتمع كله، أو ثورة من أجل إنسانية الإنسان» (سليمان، ٢٠٠٠م: ٢٦٩). وربما عدت توجهات عروة من مقدمات النهضة لتقبل عدالة الإسلام على خلاف بعض من لم يسعفه فكره وسلوكه في نفس الاتجاه كالشاعرين «تأبط شراً والسليك بن سلكة». ولكن عروة لا يتقبل لوم زوجته؛ لأنه يجد واجبه في القبيلة وتبنيه مبدأ الصعلكة جعله ماضياً في هذا السلوك. فهو يتفق مع غيره في قسوة الفقر الآتية أساساً من قسوة الغنى عليه.

فانظر إلى الشاعر «سبيع بن الخطيم التميمي»، حينما ألمته التي خطبها، وتركته وفضلت الزواج برجل غني آخر، كيف يُعبر عن حرقة، ويستنكر جفاء الغنى على الفقير، ويصفه بالعنيف:

وَأَسْتَبَدَّتْ غَيْرِي وَفَارَقَ أَهْلَهَا	إِنَّ الْغِنَى عَلَى الْفَقِيرِ عَنِيفٌ
---	---

(المفضل الضبي، ٢٠٠٣م: ج ٢، ٢٨٠-٢٨١)

وقد توجهت الزوجة لومها في صرف المال، في جانب محدد وهو شرب الخمر، فيقول «أوس

بن حجر التميمي»:

هَبَّتْ تَلُومٌ وَليستْ سَاعَةَ اللَّاحِي	هَلَّا أَنْتَظَرْتِ بِهَذَا اللَّوْمِ إِصْبَاحِي
---	--

قاتلها اللهُ تَلحاني وقد علمتْ
أنَّ أشربِ الخمرَ أو أرزأ لها ثمناً
أنِّي لنفسي إفسادي وإصلاحِي
فلا محالة يوماً أننِي صاحي
(أوس بن حجر التميمي، ١٩٩٩م: ٢١)

في منظار الشعر الجاهلي نلاحظ أنَّ شرب الخمر حتى في العصر الجاهلي كان يثير
المشاكل الزوجية الهدامة آنذاك.

ومن الخلافات التي أثرت بسبب إتلاف المال في نظر الزوجة، ما قام به «حجبة بن
المضرب السكوني» وكان له أخوان «المنذر ومعدان» فمات معدان وترك أولاداً فأغبر عليهم
فأخذت إبلهم، فرأى «حجبة» جاريته ومعها قعب أي إناء من لبن، فقال أين تذهبين؟ فقالت:
إلى أولاد أخيك اليتامى، فأخذ القعب من يدها، فأراقه ثم قال لعبيده: أريحا هذه الإبل إلى
أولاد أخي، فأريحت عن آخرها إليهم. فغضبت امرأة حجبة من ذلك غضباً شديداً فقال
رافضاً أن يكون «مُلدماً» أي عاجزاً:

تَلوومُ على مالٍ شَفاني مَكانهُ
ولا تَحَسبيني مُلدماً إذ نَكَحتِهِ
فلوَمي على ما فاتك اليومَ وأغصبي
ولكنني حجبةُ بنِ المُضربِ
(الأمدي، دون تا: ٢٤١)

فكيف يمكن للزوجة أن لا تهتم بتحول ملكية الإبل من عائلتها إلى عائلة أخ زوجها؟ إلا أن
مثل هذه التصرفات هي التي أحدثت الخلاف في الأسرة أيام الجاهلية، وهي تنبأ عن صرامة
رب الأسرة وانفراده بالتصرف. وقد تكون الزوجة محقة في مقاومتها لتبذير زوجها، إلا أن
اللوم على الإنفاق ربما انطلق من الاحساس بالأناية أو الرغبة في تضييق العطاء والاقبال منه،
أو تحججاً لإثارة مشاعر الزوج وايدائه، وقد يكون فضولاً وتدخلا في شؤون الزوج، فيغيضه
تدخلها فيما لايعنيها وما تجهله.

وكذلك يحتدم الخلاف حول سياسة المال حين تطلب الزوجة أن يباع الفرس؛ لأنَّ سعره
قد زاد في حين يرفض الزوج ذلك؛ لأنَّ وجود الفرس يُعد ضرورياً: قال «ابن المفضل»:

باتت تلومُ على ثادِقِ
ألا إن نَجواك في ثادِقِ
لِيشري فَقَد جَدَّ عِصيانُها
سواءً عاَليَّ وإِعلائُها
أرى الخيلَ قَد ثابَ أثمانُها
وقالَت أغثنا بِهِ إننِي

١. اللاحي: العاذل، اللائم. / لَحَى فلاناً: لامه وسبّه وعابه. / رَزَاهُ ماله: أصاب منه شيئاً فَتَقَصَّه.

فَقُلْتُ أَلَمْ تَعَلَّمِي أَنَّهُ كَرِيمٌ الْمَكْبُوتِ مِيدَانُهَا
(المفضل الضبي، ٢٠٠٣م: ج ٢، ٢٧٤)

ومما ذكرنا يبدو أن الرجل في الحالة السابقة ينظر نظرة تجارية « فالمرأة لها دورها الكبير في العلاقات المالية سلباً كما رأينا في إيجاد نوع من تفسخ العلاقات الانتاجية » (الشعبي، ٢٠٠٢م: ١٣٩). ونجد أمثلة عديدة لمعارضة المرأة لزوجها في العطاء الزائد الذي يحصل نتيجة التطرف والتمادي في الإحساس بالبذل، فتبقى المرأة مدهوشة مما يفعل الرجل بأمواله.

فبماذا يفسر أن يهب الزوج ثلاثاً من الإبل دون مبرر معقول؟ فترى «سالم بن قحطان العنبري» أعطى صهره الأبعرة، فلامته امرأته على البذل، وكان صهره أخو امرأته، قد أتاه فأعطاه بغيراً من إبله وقال لامرأته: هاتي حبلاً يقرن به ما أعطيناك إلى بغيره ثم أعطاه آخر وقال: هاتي حبلاً آخر، ثم أعطاه ثالثاً وقال: هاتي حبلاً، فقالت: ما بقي عندي حبلاً، فقال لها: عليّ الجمال وعليك الحبال، ثم قال:

لَا تَعْدِلِينِي فِي الْعَطَاءِ وَيَسْرِي لِكُلِّ بَعِيرٍ جَاءَ طَالِبُهُ حَبْلًا
نَقَدْتُ بِكَرْتِ أُمِّ الْوَلِيدِ تَلُّومُنِي وَلَمْ أَجْتَرِمَ جُرْمًا فَقُلْتُ لَهَا: مَهْلًا
(أبو علي القالي، ٢٠٠١م: ٢٧٤)

إن مثل هذه التصرفات في أموال الزوج من قبله، لا نتوقع أن تقف زوجته دون أن تتساءل على الأقل عن الغاية منه. ومهما كان القصد من العطاء وأنه يهدف إلى إرضاء حاشية الإنسان والتقرب لهم والاستفادة منهم في وقت الشدة، فإنه سيواجه بالاعتراض من قبل الزوجة، فقد كان «النمر بن تولب» قد خرج في إبله بعد أن كبر فسأله سائل فاعطاه فحل إبله، فلما رجعت الإبل وإذا فحلها ليس فيها، فهتفت به زوجته ولامته وقالت: فهلا غير فحل إبلك؟ فقال لها:

دَعِينِي وَأَمْرِي سَأَكْفِيكَه وَكَوْنِي فَعِيدَةً بَيْتِ ضِبَاعًا
فَأِنَّكَ لَنْ تُرْشِدِي غَاوِيًا وَلَنْ تُدْرِكِي لَكَ حَطًّا مُضَاعًا
(النمر بن تولب، ٢٠٠٠م: ٨٨)

فترى كلام هذا الشاعر في موضع آخر حينما أضاف أصدقاءه فذبح لهم أربع نياق شابة واشترى لهم زق خمر، فلامته زوجته فيقول:

١. ثادق: اسم فرسه. / يُشْرَى: يُباع. / النجوى: السر يقول لامرأته. / الخيل قد تاب أثمانها: زادت. / كريم المكبة على الأعداء: يهزمهم حين يحمل عليهم. / الميدان: السمين.
٢. القعيدة: المرأة لتعودها في البيت. / الضباع: رفع البدين في الدعاء. / حظاً مضاعاً: نصيباً زائلاً.

قَامَتْ تُبَكِّي أَنْ سَبَّاتُ لَفْتِيَةَ زَقَاً وَخَابِيَةَ بِعَوْدِ مُقَطَّعِ
لَا تَجْزَعِي أَنْ مَنَفْسًا أَهْلَكْتَهُ وَإِذَا هَلَكْتَ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي
وَقُرَيْتُ فِي مَقْرَى فَلَا تُصِ أَرْبَعًا وَقُرَيْتُ بَعْدَ قُرَى فَلَا تُصِ أَرْبَعًا^١
(النمر بن تولب، ٢٠٠٠م: ٨٢)

نشاهد في هذه الأبيات أن الشاعر أجاد في تكراره حيث جمع بين تكرار الحروف وتكرار الألفاظ والعبارات، ونلاحظ أنه خلق تجانسا صوتيا موسيقيا له أثر بالغ في ذهن السامع مما يزيد فيه الشوق والاستمتاع، كما في تكرار حرف القاف خمس مرات منسجما مع الوزن الشعري.

ثم يتهم الشاعر زوجته بالسفّه ويدعي أنها تصطنع البكاء، ويدعوها إلى أن لا تطرد رفاقه، ودائماً يذكرها بموته. وهو ما يوحي باستهانة الجاهلي بالحياة وأنه يتوقع الخطر والقتل دائماً، لذلك يتهياً للموت ويبدل ما عنده، لأنه سيخلي فراشه فلن تنفعه أمواله وربما اغتصبت منه أو من زوجته. فالشاعر الجاهلي يعيش في القلق النفسي والتخوف الدائم وهذا الأمر يسفر عن مثل هذه الاستهانة والاستخفاف بالمال:

أَتَبْكِيَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هَيِّنٍ سَفَّهُ بَكَاءِ الْعَيْنِ مَا لَمْ تَدَمَعِ
فَإِذَا أَتَانِي إِخْوَتِي فَدَعَبِهِمْ يَتَعَلَّلُوا فِي الْعَيْشِ أَوْ يَلْهَوْا مَعِي
لَا تَطْرُدِيهِمْ عَن فِرَاشِي إِنَّهُ لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ سَيَخْلُوا مَضْجَعِي
(النمر بن تولب، ٢٠٠٠م: ٨٥)

ومن الشعراء من يريد إفراغ لوم الزوجة من أهميته عنده، فهو لكي يدفع زوجته لترك اللوم يبين لها أنه سواء عنده، الأمت أم لم تلم، فهو لا يرتب على ذلك أي رد عليها، وهو لن يقصر معها كما قصرت معه فيقول «لبيد بن ربيعة»:

أَعَاذِلُ قَوْمِي فَأَعْدِلِي الْآنَ أَوْ ذَرِي فَلَسْتُ، وَإِنْ أَقْصَرْتَ عَنِّي بِمُقْصِرِ
(لبيد بن ربيعة، دون تا: ٤٤)

١. سَبَّأَ الخَمَرَ: شَرَّاهَا وَفِي الصَّحَاحِ اشْتَرَاهَا لِيشْرَبَهَا. / قَرَى الضَّيْفَ: أَضَافَهُ. / مَقْرَى: مَوْضِعُ القُرَى. / فَلَا تُصِ مِنَ الإِبِلِ: الشَّابَّةُ مِنْهَا. يَقُولُ قُرَيْتُ فِي مَوْضِعِ قَلَائِصِ أَرْبَعًا، وَلَمْ يَمْنَعْنِي ذَلِكَ أَنْ أَقْرِي بَعْدَهُنَّ.

حرص الزوجة على مراقبة تصرفات الزوج في ماله

إنَّ المشكلة الزوجية في بعض الأحيان أمر طارئ على مجرى الحياة وهي عبارة عن خلل يطرأ على الحياة الزوجية فيحتاج إلى الإصلاح، فمن خلال الأشعار الجاهلي نفهم أنَّ الجاهليين قد عاشوا حياتهم البسيطة في بيئة مليئة بالأخطار المفاجئة المتمثلة بغزو القبائل وآثاره المتعلقة به، من أخذ الثأر أو الانتقام، أو حتى إثبات السطوة والقوة وما يشابهه في التهديد، بفقدان الممتلكات والأموال، وكل ذلك يهدد بالفقر والعوز.

وفي مثل هذه الظروف تبقى الزوجة حريصة على أن تراقب تصرف زوجها بماله، ولاسيما في رغبة رجال القبيلة بالبذخ والعتاء، إظهاراً للجود، واقتناءً لأثر الأجداد الكرماء، أو مشاركةً لأفراد القبيلة في كل سراءٍ أو ضراءٍ، بحيث لا يتوانى البعض في تقديم إبله وأغنامه، فداءً أو ديةً كفرضٍ قبلي، أو تباهٍ ومفاخرة بالجود والبدل.

وهذا ما جعل بعض الزوجات ترفع صوتها بردةً فعل لتطلب من زوجها، مراعاة حال الأولاد والعائلة، وعدم التماذي في إتلاف الأموال حسب تصورهما، فهي تأتي بالحجج على سوء عاقبة هذا التصرف، لتقنع زوجها بضرورة تغيير سلوكه. فزوجة «حاتم الطائي» تلومه في إعطائه المال، فيذكر أنَّ أساس لومها اعتقادها أنَّ المال عند من يحافظ عليه ويمسكه مُعبداً مبعجلاً مقدساً، فيقول حاتم:

تَلُومُ عَلَىٰ إعْطَائِي المَالَ ضِلَّةً إِذَا ضَنَّ بِالمَالِ البَخِيلُ وَصَرَّدَا
تَقُولُ أَلَا أَمْسِكُ عَلَيْكَ فَإِنِّي أرى المَالَ عِنْدَ المُسْكِينِ مُعْبَدَا^١
(حاتم الطائي، ١٩٨١م: ٤٠)

فيجيبها أنَّ المال الذي تملكينه وافر كثير، وهو أول ما يرد به على انتقادها، ثم يبين الطائي حجة أخرى ليقنع برده على زوجته، وهي أنَّ لكل انسان عادة متعود عليها، لا يستطيع

تركها بسهولة، فلا داعي للعذل واللوم في هذه الصفة وتكرار القول الجارح وكأنَّه المبرد:
ذَرَيْتِي وَحَالِي إِنَّ مَالِكَ وافرٌ وَكُلُّ امْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
أَعَاذِلْ لَا آلُوكِ إِلَّا خَلَيْتِي فَلَا تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانَكَ مِبْرَدَا
(حاتم الطائي، ١٩٨١م: ٤٠)

١. ضلَّة: لوما هدرأ. / صرَّد العطاء: قلله. / مُعبداً: مُبعجلاً مقدساً.

وإذا لم تجد ما ترد به على هذه الحجج، فلا بدّ لها من أن تترك اللّوم، وتتخذ رأياً سديداً. وبما «أنّ الحجاج في الشعر العربي القديم، يتميز بميزة أولى، أوضحها، وفرة الحجج وتنوعها» (الدريدي، ٢٠٠٨م: ٣١٠). فالشاعر يسرد الحجج الواحدة تلو الأخرى، ليدحض رأي زوجته، ويبرر صحة سلوكه المتناسب مع قيمه وعاداته، وما يتطلبه مجتمعه:

وإِلَّا فَكُفِّي بَعْضَ لَوْمِكَ وَاجْعَلِي
إِلَى رَأْيِي مَن تَلَحَّيْنَ رَأْيِكَ مُسْنَدًا
أَلَمْ تَعَلَّمِي أَنِّي إِذَا الضَّيْفُ نَابَنِي
وَعَزَّ الْقَرَى أَقْرِي السَّدِيفَ الْمُسْرَهْدًا^١
أَسْوَدُ سَادَاتِ الْعَشِيرَةِ عَارِفًا
وَمِنْ دُونِ قَوْمِي فِي الشَّدَائِدِ مِذْوَدًا
وَأَنْفِي لِأَعْرَاضِ الْعَشِيرَةِ حَافِظًا
وَحَقَّهُمْ حَتَّى أَكُونَ الْمُسْوَدًا

(حاتم الطائي، ١٩٨١م: ٤١)

ثم يتعرض إلى أقاويل الآخرين ويرد عليهم، أنّه لو لم يكن ينفق ماله لما ساد قومه، فالجود والعطاء هو الذي رفع من شأنه بين قومه والآخرين:

يَقُولُونَ لِي أَهْلَكْتَ مَالَكَ فَأَقْتَصِدْ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ سَيِّدًا

(حاتم الطائي، ١٩٨١م: ٤١)

ثم يستمر الشاعر في دحض لوم زوجته فيبين اعتقاده أنّ الرزق على الله، وأنّ هذا الرزق لا بدّ أن يأكله المرزوق، وسيأتي غيره غداً. ولا يغفل عن بيان ضرورة الإبقاء على ما يلزم الحفاظ عليه عقلاً، وهو ما يحتاجه للدفاع والتنقل مثل السيف والحصان:

كُلُّوا الْآنَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأَيِسِرُوا
فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ غَدًا

(حاتم الطائي، ١٩٨١م: ٤١)

وربما حاولت الزوجة أن تثير في زوجها التفكير بضرر ما يقوم به على نفسه، إلا أنّه لا يقتنع بذلك ويبرر عمله بكونه عادة لا يستطيع تركها. فيقول «حاتم الطائي»:

وَقَائِلَةٌ أَهْلَكْتَ بِالْجُودِ مَالَنَا
وَنَفْسَكَ حَتَّى ضَرَّرْتَ نَفْسَكَ جُودَهَا
فَقُلْتُ دَعِينِي إِنَّمَا تِلْكَ عَادَتِي
لِكُلِّ كَرِيمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيدُهَا

(حاتم الطائي، ١٩٨١م: ٤٤)

فالشاعر لا يواجه زوجته فقط بما يدعو إليه من الإصرار على العطاء، بل يسعى إلى تغيير نظرة الاستغلال والجفاء بحق الضعفاء المحتاجين، فهو صاحب مبدأ واجه الحرمان

١. نابني: نزل بي./ السديفُ المُسرهدُ: السنام المُقطّع.

بالبذل وواجه الحرص بالعطاء، ولا شك أن القيم الخلقية الانسانية هي الدافع والغاية في هذا السلوك؛ لأنه عاش «الغنى وعاش الفقر فكَّرَ البَطْرَ والظلم والبغي والاذلال و... لا يملك لنفسه ولا يهدر شيئاً مما يملك للذاتة، أنه يلغي باختياره ملكيته الخاصة، ويحولها إلى ملكية عامة، قبل ان تظهر الاشتراكية بمئات السنين» (سليمان، ٢٠٠٠م: ١١٩-١٢٠).

فترى أن «حاتم الطائي» يتبع أسلوب سرد الحجج العقلية التي يبرر بها صحة تصرفه بما يتواءم مع مجتمعه، وإن كان البعض يجد في ذلك إغراقاً وتطرفاً، إلا أنه يربطه بعادة تعودها وهو ما يمكن أن لا يدع للمنتقد بدأً من قبول عذره عليها، خاصة وأنه في بداية جدله بين أن مال زوجته كافٍ لازالة قلقها وهذا يظهر أن للزوجة آنذاك مال خاص بها، ومما يؤيد هذا الامر قول «علباء بن ارقم»:

ويوماً تُريدُ مائناً معَ مالِها فإن لَم تُنلِها لَم تُنمنا وَلَم تَنم

(الأصمعي، ٢٠٠٥م: ١٧٥)

بعد تدقيق النظر في الشعر الجاهلي نجد كثرة الأمثلة في هذا النوع من الخلافات الزوجية وفي لوم الزوجات على إتلاف المال، وربما جعل بعض الشعراء هذا المنحى للمبالغة في إظهار الجود والكرم، فهو مُصِرٌّ على العطاء بالرغم من لوم أقرب الناس إليه. ويدعي الشاعر أن سبب خصامه مع زوجته هو ذلك الأمر، ولا يتطرق لما تعانیه الزوجة في الحقيقة. فالشاعر «المرقش الأصغر» لا يجد سبباً في ترك زوجته له إلا إتلاف المال، وقد يُستبعد ذلك، لأن الزوجة إذا كانت تعيش في مجموعة من الأفراد، فإن الحاجة إلى المال سوف تشملهم جميعاً، ولا تخصصها وحدها، في حين نجد الشكوى من إتلاف المال ملحقة بالزوجة فقط، ولا يصرح بأن الأولاد أو بقية أفراد الأسرة قد شاركوها في هذه الشكوى فهو يقول:

أذنتُ جارتي بوشكٍ رحيلٍ باكرأ جَاهرتَ بخطبٍ جليلٍ
أزعمتُ بالفراقِ لَمَّا رأتني أتلِفُ المالَ لا يَدُمُ دخيلي
أربعي إنمما يريُّك مني إرتُ مجدٍ وجِدُّ لبُّ أصيلٍ

(المرقش الأصغر، ١٩٩٨م: ٩٢-٩٣)

فهو يأتي بالتعجب من الحريص على المال الذي يضيِّع بحرصه ما صار إليه من ملك أو خلد. ولكن ربما فات الشاعر أن تضييع أسرته، وتركها تشتكي من تلف المال، لا يتناسب مع بناء المجد والسمعة الحسنة بالكرم. وربما أراد الشاعر من زوجته أن تقنع بالعيش معه، وأن لا تسيئ التعامل بحجة الحاجة للمال، فيقول «عبيد بن الأبرص»:

تلك عرسي ترومُ قدماً زيالي ألبين تريدُ أم ليدلال
فأتركي مطاً حاجبيك وعيشي معننا بالرجاء والتأمل
(عبيد بن الأبرص، ١٩٩٤م: ٧٨)

ولا يمكن لنا أن نأخذ ادعاء احتدام الخلاف بين الزوجين بسبب إتلاف الزوج ماله وحرص الزوجة على حفظ ماله فقط، بل ربما جعله الشاعر في مقدمة الأسباب؛ لأنه يجلب له وسيلة للفخر وإثبات حب الخير للآخرين، وخدمة قبيلته حتى يكسب وقوفهم إلى جانبه، لاسيما أنه في أغلب الاحتمالات، يرغب بالزواج من أخرى، فلعل في إنفاق المال يشتهي الافتراق عن الزوجة.

البعد عن الأهل وبيئة البادية

من المشكلات الأخرى التي أثارها الخلاف بين الزوجين تغير بيئة الزوجة من البادية إلى الحضر بعد أن تكون الزوجة قد تعودت وألفت بيئة البادية. ف «أسماء المرية» ترغب بالعيش في البادية لانفتاح فضائها، فهي وإن لم تصرح بما تأتي من خلاف مع زوجها، إلا أنها تشعر بالحزن والهم لفراقها بيئة أهلها، وهذا ما حرمتها السعادة مع زوجها فقالت:

أيا جبلي نؤمن بالله خلياً نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها
(يموت، ١٩٩٨م: ٦٣)

وتبقى أم موسى بنت سدره الكلابية ساهرة تراقب النجوم بين الحيطان التي كرهتها، في خلاف مع من نقلها إلى أرض حجر، فهي ترغب بتمني الشر له، لولا الخوف من ربها. وهذا يبين مدى انزعاجها في بيئة زواجها التي سببت اختلافها مع زوجها. فقالت:

قد كنت أكره حجراً أن أموت بها وأن أعيش بأرض ذات حيطان
أبيت أرقب نجم الليل قاعدةً حتى الصباح وعند الباب عجلان
لولا مخافة ربي أن يعاقبني لقد دعوت على الشيخ ابن حيان
(ابن طيفور، ٢٠٠٥م: ٢٥٤)

يبدو أن حالة التنقل عند القبائل من جهة وطول فترة الوصول ولدت حالة من القلق والشوق إلى اللقاء بالاضافة إلى الإحساس بالخطر الداهم الذي يزيد من الرغبة في اللقاء. ولو قارنا هذه الحالة في الأسرة فإنها أقل مما سبقها من الخلافات لعدم بقائها أمام النسيان، وقبول التعايش بعد مضي فترة من التعود على الظروف المعيشية الجديدة، في حين أن أسباب الخلاف السابقة قد لا تتأثر بمضي الزمن، بل ربما تتأزم وتقوى.

عدم الاهتمام بالزوجة والابتعاد عنها

يجدر الإشارة إلى أن بعض الشعراء يذكرون قسماً من الانتقادات التي توجهها الزوجة إلى زوجها بسبب عدم اهتمامه بها وسوء المعاملة لها وتتم هذه الشكاوى عن إحساس بالحيف أو الغبن وشعور بتقصير الزوج المتكفل برعاية زوجته مما يثير لواعج النفس والشكوك بإهمال متعمد أو أن الزوج يميل إلى أخريات وأن له علاقة مخفية. وهذا ما يناسب النساء اللاتي لا زلن في مقتبل العمر أما من تجاوزن سن الشباب فيأخذن هذا الأمر على مضنة عدم الاحترام والجفاء وتجاهل الأتعاب التي قامت بها الزوجة، مما يثيرها كما في قول «زهير بن أبي سلمى» لأم ولده كعب:

وقالت أم كعب: لا تزرني
وأنتك عبتني وصددت عني
فلم أفسد بئيك، ولم أقرب
أقيمي، أم كعب، واطمئني
فلا، والله، مالك من مزار
وكيف عليك صبري واصطباري؟
إليك من الملمات الكبار
فإنك، ما أقمت بخير دار
(زهير بن أبي سلمى، ٢٠٠٢م: ١٧٥)

كل هذه الأساليب ترقى بما أتبعه الجاهليون إلى مستويات راقية من التعامل بين الزوجين، يعتمد الاحترام والثقة، والأمل بالتفاهم والتصالح.

وبيين «أبو خراش الهذلي» سبب ابتعاده عن زوجته، وهو انشغاله بفقد «عروة» وتأثره لذلك، فهو يعترف بحقها، لكنه يذكرها بأن الاخلاء المتصافين فيما بينهم يتفرقون، فلتحرص على بقائها معه:

لعمري لقد راعت أميمة طلعتني
تقول أراه بعد عروة لاهياً
ألم تعلمي أن قد تفرق قبائنا
وإن نوائني عندها لقليل
وذليك رزء لو علمت جليل
خليلاً صفاً مالك وعقيل
(الهذليون، ١٩٦٥م: ٢، ١١٦)

النزاعات القبلية

يعمل النزاع بين قبيلتي الزوجين، على إثارة الخلاف بينهما. وهذا ما عانت منه كثيراً النساء التي تزوجت أثناء هدوء الصراع بين القبائل، أما إذا عاد واحتدم مرة أخرى فإن أول المتضررين به هذه الغريبات المتزوجات من العشيرة المنافسة. فقد قالت: عمرة بنت الحباب التغلبيّة:

ما كنت أحسب والحوادث جمّة
أنا عبيد الحسي من غسان

حَتَّى عَلَّتَنِي مِنْ لَبِيدٍ لَطْمَةً سُجِّرَتْ لَهَا مِنْ حَرِّهَا الْعَيْنَانِ
 إِنْ تَرَضْتَ تَغْلِبُ وَأَيْلٍ بِفِعَالِهِمْ تَكُنِ الْأَذْلَةَ عِنْدَ كُلِّ رِهَانِ
 (يموت، ١٩٩٨م: ٣١)

فقد أثارت اللطمة التي وجهها «لبيد» إلى وجه زوجته بسبب دفاعها عن قبيلتها ضغائن وعصبيات، كما أن محنة «جلييلة بنت مرة» امرأة كليب بدأت حين احتدم الصراع بعد قتل أخيها لزوجها، فهي تعتبر نفسها قاتلة مقتولة وهو ما أثار الخلاف مع أهل زوجها فعانت الهم والحزن بعد اشتعال المعارك وقالت:

دَرَكَ الثَّائِرِ شَافِيهِ وَفِي دَرَكَ الثَّائِرِ شَافِيهِ وَفِي
 نِيَّتَهُ كَأَنَّ دَمِي فَاحْتَلَبُوا بَدَلًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَكْحَلِي
 إِنَّنِي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَرْتِاحَ لِي
 (المرزباني، ١٩٩٥م: ١١٩)

يجدر أن نشير إلى أن التأثر بالخلافات القبلية ينحصر عند الشعراء الذين تزوجوا من قبائل منافسة في أوقات الصلح وبعد ذلك دخلوا في الصراع، ولكن قد تكون هذه الحالات مقيدة في أمثلة محدودة، إلا أن بقاء مثل هذه الأشعار يعكس معاناة إنسانية وأحاسيس بالرغبة في نبذ الخلاف والتعصب بين أفراد القبائل المتصاهرة.

الشك والريبة

كذلك يحتدم الخلاف بين الزوجين إذا شك الزوج في زوجته، وقد يكون في صحة نسبة المولود إليه، وذلك في حالة عدم الشبه بينه وبين الزوج أو حتى الزوجة، فترى أنرجلا من «بني عامر» تزوج امرأة من قومه، وخلفها حاملاً، وخرج في بعض أمره. فولدت ابناً لا يشبهه، فدعاها وأنشأ يقول:

لَا تَمْشِطِي رَأْسِي وَلَا تَقْلِي نِي وَحَاذِرِي ذَا الرِيْقِ فِي يَمِينِي
 وَاقْتَرِبِي دُونَكِ أَخْبِرِينِي مَا شَأْنُهُ أَحْمَرَ كَالهَجِينِ
 خَالَفَ أَلْوَانَ بَنِي الْجَوْنِ

١. الدرك: للحاق./ الثكل: الموت والهلاك./ أكل الله المرأة: أفقدها ولدها./ فلى رأسه: بحث عما قد يكون فيه من قمل ونحوه./ الهجين: حيوان ينتج عن نوعين أو سلالتين مختلفتين، من الخيل: ماتلده برزونة من حصان عربي.

فقالته تجيبه:

إِنَّ لَهُ مِنْ قِبَلِي أَجْدَادًا بِبَيْضِ الْوَجْهِ كُرْمًا أَنْجَادًا
مَا ضَرَّهُمْ إِنْ حَضَرُوا أَمْجَادًا أَوْ كَافَحُوا يَوْمَ الْوَعَى الْأَنْدَادًا
أَلَا يَكُونُ لَوْنُهُمْ سَوَادًا

(ابن طيفور، ٢٠٠٥م: ١٢٧-١٢٨)

فتصبح كل سلوكيات الزوجة مشكوكة وكل كلماتها تحمل ضمناً معنى السوء ويظن الزوج أن زوجته ربما تدبر له مكيدة، فهو لا يرى منها إلا السوء والخبث والفحش والنفور.

الوشاية

لاشك أن الوشاية تعمل على تخريب العلاقة بين الزوجين، خاصة إذا كانت الزوجة أو الزوج سريعاً يتأثر بكلام الآخرين، فيحاول بعض الناس أن يحرض الزوجة على شريك حياتها، أو يحرض الزوج على امرأته. فنرى أن الشاعر «النمر بن تولب» يشير إلى سؤال زوجته عنه من الوشاة الذين لا يشك في كذبهم، فهم سبب ما يحدث من خلاف بينه وبين زوجته، فيقول:

وَقَدْ سَأَلْتُ عَنِي الْوَشَاةَ لِيَكْذِبُوا عَلَيَّ وَقَدْ أَبْلَيْتَهَا فِي النَّوَائِبِ

(النمر بن تولب، ٢٠٠٠م: ٤٢)

فذه الآفة السيئة يمكن أن تجعل الشخص يصدق الشائعات ويتبع الظن ويجانب الحق ويقطع التواصل ويقلع جذور المودة ويتحول البيت نار جهنم؛ ولكن الشاعر الجاهلي لا يميل إلى ذكره إلا إذا افتقد الوصول إلى تفسير واضح ومقنع لأسباب الخلاف فيعمد إلى الإشارة إلى سبب من خارج الأسرة.

التنافر والكرهية والبغض

قد لا يكون النفور الحاصل بين الزوجين مبرراً بأسباب معينة، بل يبقى حالة نفسية يعيشها الزوجان أو أحدهما دون تحديد العلة الحقيقية لوجوده، وفي بعض الأحيان يعترف الزوج بكرهية زوجته له، فتلاحظ أن «الاضبط بن قريع الميمي» كان إذا شهد حرباً تقدم وقال:

أَنَا الَّذِي تَفَرَّقُ لَهُ حَلَائِقُهُ أَلَا فَتَى مُعَشَّقٌ أَنْزَلُهُ

(الاصفهاني، ١٩٨٧م: ج ١٨، ١٢٨)

ولا يكون الوضع العائلي والاجتماعي الصعب، مقصوراً في البيوت العادية فحسب، بل يحصل مثل هذا التنافر في بيوت الشيوخ والأغنياء، ف«عروة الرحال سيد بني عامر» بعد

زواجه من «صعبة» الذي استمر ثمانين عاماً لم يذق الراحة طول فترة زواجه الطويلة فيقول:

ثَمَانِينَ حَوَّلًا لَا أَرَى مِنْكَ رَاحَةً لَهَنَّكَ فِي الدُّنْيَا لِبَاقِيَةِ الْعُمُرِ
فَإِنْ أَنْقَلِبَ مِنْ عُمُرٍ صَعْبَةٍ سَالِمًا تَكُنْ مِنْ نِسَاءِ النَّاسِ لِي بِيضَةُ الْعَقْرِ

(القالبي، ٢٠٠١م: ٢٠٢)

وحين كرهت «أم صريع الكندية» زوجها تمنّت فراقه، فعندما يحل في البيت ينقلب إلى حضرة مملوءة بالدخان، وهذه العشرة السيئة هي سبب الكراهية التي تدفع إلى تمنى الفراق، فلو كان النذر يخلصها منه لنذرت مئة من الإبل الأصيلة، فهي لا تريد رؤيته فتقول:

كَأَنَّ الدَّارَ يَوْمَ تَكُونُ مِنْهَا عَلَيْنَا حُمْرَةٌ مُلَّتْ دُخَانًا
فَلَيْتَكَ فِي سَفِينِ بَنِي عَبَاد طَرِيدًا لَا نَرَكَ وَلَا تَرَانَا

(ابن طيفور، ٢٠٠٥م: ١٤٣)

إنّ اختلاف الطباع وظهور الكراهية من أحد الزوجين نحو الآخر إذا لم يفسر بأحد الأسباب المذكورة سابقاً فقد يكون بسبب حالة نفسية مفروضة يصعب علاجها، وقد يكون لاهتمام الزوج بأمور القبيلة وابتعادها عن الزوجة أثر في حدوث هذه الكراهية.

عواقب الخلافات الزوجية

لا شك أنّ هدف الرجل والمرأة من الزواج، هو الشعور بالراحة والسعادة لهما، يطلب كل منهما ما يحتاجه ليخفف عبء الحياة الصعبة. ولما افتقد أغلب العرب في جاهليتهم تعاليم دين يعلمهم ويُرَكِّبهم، اهتمّ عقلاؤهم ومنهم الشعراء بإبداء النصح وطلب الصبر والتحمل فنرى «زهير بن أبي سلمى» بعد أن يذكر زوجته بماضي عيشهما المشترك يطلب منها البقاء إلى جنبه والصبر معه حتى لا تنقطع علاقتهما فيقول:

أَقِيمِي، أُمَّ كَتَّابٍ، وَاطْمِئِنِّي فَإِنَّكَ، مَا أَقَمْتِ بِخَيْرِ دَارٍ

(زهير بن أبي سلمى، ٢٠٠٢م: ١٧٥)

وقد تؤدي الخلافات في بعض الأحيان إلى فك عقدة الزواج وانفصال الزوجين، وتختلف الظروف في ذلك، وقد يحل الندم نتيجة للتسرع بالطلاق، قبل إعطاء الفرصة لاختبار مدى القدرة على التفاهم والتعايش المشترك، وقد تلج الزوجة في ضرورة ترك الزوج لعادة تعودها، فيؤدي ذلك إلى فقدان الصبر من قبل الزوج وإجرائه للطلاق، بالرغم من اعتقاده أنّ الطلاق مصاب عظيم، ومما يدل على هذه الحالة قول «المرقش الأصغر»:

أَذْنَتْ جَارَتِي بَوْشَكَ رَحِيلِ بَاكِراً، جَاهَرَتْ بِخَطْبِ جَلِيلِ
(المرقش الأصغر، ١٩٩٨م: ٩٢)

وربما أصرَّ الشاعر على الطلاق بل أخذه اعتزازاً بنفسه؛ لأن يرفض إعادة النظر في إرجاع زوجته، مما يعد من الجفاء والاستهانة بالمشاعر الإنسانية كما قال الشاعر «الأعشى»:

أَيَا جَارَتِي بَيْنِي فَاثِقَةً كَذَاكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَةً
ويقول:

وَبَيْنِي فَإِنَّ الْبَيْنَ خَيْرٌ مِنَ الْعَصَا وَإِلَّا تَزَالُ فَوْقَ رَأْسِكَ بَارِقَةً
وَمَا ذَاكَ مِنْ جُرْمٍ عَظِيمٍ جَنَيْتَهُ وَلَا أَنْ تَكُونِي جِئْتِ فِينَا بِيَائِقَهُ
(الأعشى، ١٩٩٤م: ١٢٢)

فإنَّ الشاعر يؤكد بأنَّ لا ذنب لزوجته ولكن هكذا أمر الناس والحياة بين الزوجين وهو ما يثبت وجود الاستغلال من طرف لطرف آخر، فالنظرة تختلف عما «عند زهير بن ابي سلمى» الذي يدعو الى الصبر والتعايش السلمي.

ثمَّ نلاحظ أنَّ بعض الوصايا والتوجيهات كانت قبل الزواج، لتجنب المشكلات، فقد أوصت امرأة ابنتها بوصايا، فكان منها: وليكنَّ أطيَّبَ طيبك الماء. ثم قالت لابنتها:

بُنَيْتِي إِنْ نَامَ نَامِي قَبْلَهُ وَأَكْرَمِي تَابِعَهُ وَأَهْلَهُ
وَلَا تَكُونِي فِي الْخِصَامِ مِثْلَهُ فَتَخْصِمِيهِ فَتَكُونِي بَعْلَهُ
(الجاحظ، الحيوان، ١٩٦٩م: ج ٥، ١٣٩)

فقد أشارت الوصية إلى ضرورة عدم جعل الزوجة نفسها نداءً للزوج في أوقات الخصومة، مما يزيد من هياج الخلاف، بل إنَّ الإكرام والتودُّد من قِبَلِ الزوجة للزوج، سيجعله أكثر قرباً منها. كما أنَّ علاقة الزوجة بأقرباء الزوج، لها أكبر الأثر في نفسه، خاصة مع العيش المشترك آنذاك. فمما يذكر أنَّ أعرابية من «بني صباح من عبد القيس» أوصت ابنتها عند هدايتها فقالت:

لَا تُهْجِرِي فِي الْقَوْلِ لِلْبَعْلِ وَلَا تُغْرِيبِهِ بِالشَّرِّ إِذَا مَا أَقْبَلَا
فَأَوَّلُ الشَّرِّ يَكُونُ جَدَلًا مُحْتَقَرًا ثُمَّ يَصِيرُ مُعْضَلًا
وَلَا تُنْثِي مَا عَلَيْهِ خَلَا لِنُكْشِفِي مِنْ أَمْرِهِ مَا حُمِلَا
(المرزباني، ١٩٩٥م: ٩٤)

وأوصت أعرابية من «بني جشم» بنتاً لها ليلة هداؤها وزفافها فأشارت إلى ضرورة عدم ازدراء الزوجة بزوجها حين يُصيبه الفقر ثم عدم كشف سرّه، وكذلك لزوم الهدوء عند هياج أعصابه فقالت:

وَالْبَعْلُ لَا تُزْرِي بِهِ عِنْدَ الْعَدَمِ وَلَا تُذْيَعِينَ عَلَيْهِ مَا كَتَمَ
وَلَا تَرْدِي قَوْلَهُ إِذَا احْتَدَمَ

(ابن ابي الدنيا، ١٩٩٠م: ١٥٣)

النتائج

اختص المقال بدراسة الخلافات الزوجية في مرآة الشعر الجاهلي، فمن خلال بعض أشعارهم في خلافاتهم الزوجية استنتجنا مايلي:

١. تعود بعض الخلافات الزوجية بين الشاعر وزوجته إلى أسباب ترافقهما من بداية الحياة الزوجية كالخلاف بينهما حول كبر الزوج وتفاوتهما في السن. أو الإكراه لقبول الزواج لأسباب عديدة وحل هذا النوع من الخلافات صعب جداً.
٢. ترجع بعض المشاكل إلى خلل أو أمر طارئ على سياق الحياة الزوجية، فيحتاج إلى إصلاح كما كانا يختلفان في أغراض الإنفاق أو كانت الزوجة حريصة على أن تراقب تصرف زوجها بماله، ولاسيما في رغبة رجال القبيلة بالبذخ والعطاء، إظهاراً للجدود. واهتمام أكثر الشعراء بالرد على لومّ الزوجة ليبدو الشاعر معتزلاً بافتخاره بنفسه بعد تنفيذ ما ينتقص من إمكانياته وأسلوبه في الحياة.
٣. تسبب النزاعات القبلية لبعض الخلافات الزوجية، بالإضافة للمعاناة في الحياة البدوية والتقاليد القبلية، مع تأثير الطباع الفردية في عدم التوافق بين الزوجين.
٤. إيراد بعض الشعراء للحجج العقلية والعرفية لدحض إدعاءات الزوجة، وتفاوت أساليب الشعراء لحل الخلافات بين النصح والمواجهة.
٥. احتدام الخلاف بين الزوجين بسبب الوشاية كما كان يشك الشاعر في زوجته أحياناً نتيجة لهذه الآفة السيئة. وبسبب التناظر واختلاف الطباع وظهور الكراهية والبغض من أحد الزوجين.
٦. شمول الخلاف الزوجي لبيوت شيوخ القبائل والأغنياء وعدم اقتصاره على الفقراء والصعاليك.

٧. استخدام الشعراء لمفردات توحى بالحاجة الى دليل للإضعاف حجة الزوجة كأمثال: «زعمت»، «قالت» و«تلوم» وغيرها مما يسجل أثر الأسلوب البلاغي على المتلقي.
٨. اتّجاه الشاعر الجاهلي إلى الاعتماد على العقل والحكمة والتجربة في توجيه سلوكه، حسب ما يراه صحيحاً مفضلاً في غياب النهج الديني الصحيح الذي يشرّع منهج الحياة السليمة، وتوجيه أهل التجربة والحكمة من الشعراء نصائحهم للبنات المقبلات على الزواج لتجنب المشكلات.
٩. قد تؤدي الخلافات في بعض الأحيان إلى فك عقدة الزواج مع اعتقادهم بأنّ الطلاق مصاب عظيم؛ لأنّ الزوجة قد تلح في ضرورة ترك الزوج لعادة تعودها، فيؤدي ذلك إلى فقدان الصبر من قبل الزوج وإجرائه للطلاق.
١٠. أهم أسباب الخلافات الزوجية وعواقبها لم يكن مقصوراً على الشاعر الجاهلي فإنّه قد يكون جزءاً من الظواهر الاجتماعية الشاملة لكل البشر، فلا يمكن تجاهلها بل يحتاج إلى حلول مناسبة.

المصادر والمراجع

١. الأمدي، الحسن بن بشر (دون تا). *المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء*. تصحيح ف. كرنكو، بيروت: دار الجيل.
٢. ابن ابي الدنيا، عبدالله بن محمد (١٩٩٠). *الإشراف في منازل الأشراف*. تحقيق نجم عبدالرحمن، الرياض: مكتبة الرشد.
٣. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (٢٠٠٥). *بلاغات النساء*. ضبط بركات يوسف، بيروت: المكتبة العصرية.
٤. ابن عبد البر، يوسف (١٩٨١). *بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس*. تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت: دار الكتب العلمية.
٥. ابن عبد ربه، أحمد (١٩٨٩). *العقد الفريد*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٦. الأصفهاني، أبو الفرج (١٩٨٧). *الأغانى*. إعداد مكتب التحقيق، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٧. الأصمعي، عبد الملك بن قريب (٢٠٠٥). *الأصمعيات*. ط٢، تحقيق: محمد نبيل، بيروت: دار صادر.
٨. الأعشى، ميمون بن قيس (١٩٩٤). *الديوان*. بيروت: دار صادر.
٩. امرؤ القيس (١٩٩٤). *شرح الديوان*. شرح وتحقيق: حجر عاصي، بيروت: دار الفكر العربي.
١٠. أوس بن حجر (١٩٩٩). *الديوان*. شرح: عمر فاروق، بيروت: دار الأرقم.
١١. الجاحظ، عمرو بن عثمان (١٤٠٩). *البيان والتبيين*. تحقيق حسن السندوبي، قم: منشورات أرومية.
١٢. _____ (١٩٦٩). *الحيوان*. ط٣، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٣. حاتم الطائي، عبد الله (١٩٨١). *الديوان*. بيروت: دار صادر.
١٤. دريد بن الصمة (دون تا). *الديوان*. تحقيق عمر عبد الرسول، القاهرة: دار المعارف.
١٥. الدريدي، سامية (٢٠٠٨). *الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه*. عمان: عالم الكتب الحديث.
١٦. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٢٠٠٤). *محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء*. تحقيق رياض عبد الحميد مراد، بيروت: دار صادر.
١٧. زهير بن أبي سلمى (٢٠٠٢). *شعره*. تحقيق: فخر الدين قباوة، دمشق: دار الفكر.

١٨. زيتوني، عبد الغني (٢٠٠١). *الإنسان في الشعر الجاهلي*. الإمارات العربية: مصدر زايد للتراث والتاريخ.
١٩. سليمان، علي (٢٠٠٠). *الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع*. دمشق: وزارة الثقافة.
٢٠. الشعيبي، علي (٢٠٠٢). *الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
٢١. عبيد بن الأبرص (١٩٩٤). *الديوان*. تحقيق: عمر فاروق، بيروت: دار القلم.
٢٢. عروة بن الورد (دون تا). *الديوان*. شرح: عمر فاروق، بيروت: دار الأرقم.
٢٣. علي، جواد (٢٠٠١). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. ط٢، بيروت: دار الساقى.
٢٤. القالي، أبو علي (٢٠٠١). *الأملالي*. تحقيق: صلاح بن فتحي وسيد بن عباس، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
٢٥. لبيد بن ربيعة العامري (دون تا). *الديوان*. اعتنى به حمدي طماس، بيروت: دار المعرفة.
٢٦. المرزباني، محمد (١٩٩٥). *أشعار النساء*. تحقيق سامي مكى العاني؛ هلال ناجي، بيروت: عالم الكتب.
٢٧. مرسي، كمال إبراهيم (١٩٩٥). *العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس*. ط٢، الكويت: دار القلم.
٢٨. المرقشيين (الأكبر عمرو بن سعد والأصغر عمرو بن حرملة) (١٩٩٨). *الديوان*. تحقيق كارين صادر، بيروت: دار صادر.
٢٩. المفضل الضبي، محمد (٢٠٠٣). *ديوان المفضليات*. تحقيق وشرح محمد نبيل طريفي، بيروت: دار صادر.
٣٠. النمر بن تولب العكلي (٢٠٠٠). *الديوان*. تحقيق محمد نبيل، بيروت: دار صادر.
٣١. الهذليون (١٩٦٥). *الديوان*. القاهرة: الدار القومية للطباعة.
٣٢. يموت، بشير (١٩٩٨). *شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام*. تحقيق عبد القادر محمد مايو، بيروت: دار القلم العربي.